بسم الله الرحمن الرحيم

اقتضاء الصراط المستقيم (٤٨)

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:

(الوجه الرابع: أن الأعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم، كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والحج، ولهذا جاءت بها كل شريعة، كما قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [سورة الحج: (٣٤)]، وقال: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [سورة الحج: (٦٧)]).

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فمضى الكلام على وجه كون الأعياد نافعة للناس في دينهم ودنياهم، أما كون الأعياد تنفع الناس في دينهم فهذا ظاهر فهي من شعائر الدين، وأما كون الأعياد تنفع الناس في دنياهم فلمَا يحصل لهم من التوسع في هذه الأعياد والترخص فيها بألوان من المباحات من مأكلٍ ومشربٍ ولعبٍ وما إلى ذلك، وكثير من النفوس تحتاج إلى شيءٍ من هذا.

(ثم إن الله شرع على لسان خاتم النبيين -صلى الله عليه وسلم- من الأعمال ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه، وهو الكمال المذكور في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [سورة المائدة: (٣)]، ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية، فإنه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان وهو عيد النحر، ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعامة المسلمين، وقد نفى الله تعالى الكفر وأهله).

يعني أنَّ الأعياد التي شرعها الله -عزَّ وجل- لهذه الأمة أعيادٌ كاملة، وشرَعَ الله -عز وجل- فيها ما فيه مصلحة للخلق بخلاف هؤلاء الذين سبَق وصف أعيادهم من خروجهم وحملهم للسعف أو صبغهم للبيض أو تصليب أبوابهم والرسوم عليها رسوم الصلبان ورسوم العقارب والحيات.. وما إلى ذلك، فهذا كله مما لا طائل تحته ولا نفع فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل فيه الضرر، وهكذا أيضاً سائر الأعياد المبتدعة التي ابتدعتها طوائف من الأمة، وأعظم الأعياد ما اجتمع فيه العيد الزماني والعيد المكاني، العيد المكاني: الذي شرع الله عزَّ وجل الاجتماع فيه وهو كيوم عرفة، وأمَّا العيد الزماني فإنَّه الوقت الموقت الذي وقَّته الشارع؛ ليكون عيداً كيوم عرفة أيضاً، فإنَّ المكان يُقال له: عيد، وهو عرفة، فالأرض التي يجتمع فيها الناس يُقال لها: عيد؛ ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- للرجل الذي نذر أن ينحر إبلاً ببُوانة: ((هل كان فيها عيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أعياد المشركين؟))[1] يعني: هل هذا المكان مكان معظم عندهم يذهبون إليه ويُقيمون شعائر دينهم وما إلى ذلك؟، فيوم عرفة عيد من أعياد المسلمين يجتمع فيه العيد الزماني والعيد المكاني، فإنَّ يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق إضافة إلى يوم الفطر كل ذلك من أعياد المسلمين كما صحَّ ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، والعيد الزماني كيوم الفطر ويوم الجمعة، وأعظم الأعياد ما اجتمع فيه الزماني والمكاني، وأعظم فردٍ منها -من هذا النوع- هو الموقف الذي وقفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عرفة وأنزل الله عزَّ وجل عليه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [سورة المائدة: (٣)] فإنه حصل فيه وقوف النبي -صلى الله عليه وسلم-، وحصل أنه في يوم جمعة، إضافة إلى كونه يوم عرفة، وحصل فيه أيضاً إكمال الدين بتثبيت دعائمه وشرائعه العظام، وإقرارهم بالبيت لا يشاركهم فيه أحد؛ لأن المشركين لم يحجَّ منهم أحد في تلك السنة، وثبتت شرائع الإسلام العظام، وإن كانت نزلت بعض الأحكام بعد ذلك، ولكن المقصود بقوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} أي: أكمل لهم أصوله ودعائمه وشرائعه الأصلية مع أنَّه نزلت بعض الآيات بعد ذلك.

(والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه- -ويروى مرفوعاً-: ((إن كل آدب يحب أن تُؤتى مأدبته، وإن مأدبة الله هي القرآن))[2]، ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته..).

النفوس والقلوب أوعية فإذا مُلئت بالباطل لم يكن للحق فيها مكان، والجوارح إذا شُغلت والأنفاس إذا استُغرقت في باطل كان ذلك على حساب الحق، وكان ذلك مُزاحماً له فينقص من عمل العبد، أي من عمله الصالح بحسب ما اشتغل فيه من العمل الفاسد، ولهذا كانت البدع سبباً لاندثار واضمحلال السنن، فما أُحييت بدعة وأُقيمت إلا كان ذلك على حساب سنة، وما نقص من إسلام العبد شيء إلا كان ذلك بسبب اشتغاله بالباطل من جهة الشبهات أو الشهوات.

(استغنى عن طعام آخر).

يعني: إذا اشتغل بالأعياد الباطلة المحدثة قلَّت رغبته وتعظيمه للأعياد المشروعة مثلاً كما في موضوعنا هذا-.

(حتى لا يأكله -إن أكل منه- إلا بكراهة وتجشم، وربما ضره أكله أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه ويكمل إسلامه.

ولذا تجد مَن أكثرَ من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن).

---

[1] - رواه أبو داود: (٢٣٦/٣) برقم: (٣٣١٥) كتاب الأيمان والنذور – باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر. وصححه الألباني.

[2] - شعب الإيمان: (٣٩١/٣) برقم: (١٨٥٧) بلفظ: (كل مؤدب يحب أن تؤتى مأدبته، ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه). قال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: (٢٠٥٨): موضوع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقصود بهذا القصائد الزهدية التي يقصد أصحابها ترقيق القلوب بها، فإن الإكثار من ذلك يكون على حساب القرآن، فيتشاغل الإنسان بها، فيستغني بها، فيكون ممن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ فالنفوس لها طاقة محددة إذا استوعبت هذه الطاقة واستغرقت في أمر ما فإن ذلك يكون على حساب غيرها من الأمور والمطلوبات التي قد تكون أعظم منها، فما بالك بمن استغرق ذلك في سماع الأغاني مثلاً، فإنَّ ذلك لا شك أنه لا يجتمع مع القرآن ولا يصلح معه بحال من الأحوال قلب العبد ولا ينفتح له من معانيه وكنوزه؛ لامتلاء قلبه وتعلقه بهذا الباطل، بل يحصل بها عكس المقصود من تطريب النفس وما إلى ذلك، فيحصل له بسببها وحشة وظلمة في قلبه فيمرض هذا القلب.

ومما ينبغي التنبه له في هذه القضية سماع الأناشيد مثلاً والإكثار منه، فيمكن للإنسان أن يستمع وهو في سفر سماعاً يسيراً أو في حالٍ نادرة إن استمع إليها بضوابط وشروط لا تكون فيها أصوات على لحون أهل الفسق، ولا يكون فيها مؤثرات صوتية تشبه المعازف؛ فإنه ليست العبرة بالآلة وإنما العبرة بالنتيجة، وكذلك ألا تتداخل فيها أصوات رقيقة جداً مع أصوات أخرى مما يُورث القلب مرضاً، وتراعى مثل هذه الأشياء فيكون ذلك نادراً، وإلا فإنْ أكثر الإنسان من هذه الأشياء فإنَّ ذلك يضره، فتنقص رغبته في سماع القرآن -في أقلّ الأحوال إذا ما فسد عليه قلبه- حتى ربما كرهه فإذا وجد شريطاً من القرآن بادر إلى إغلاقه!.

(حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع)

هكذا القلوب إذا مُلئت بشيءٍ ما، فالذي يشتغل بأقوال الحكماء ويحفظ أقوالهم، أو شغلُهُ في حفظ الأشعار والقصائد، أو شغلُهُ في حفظ النظريات في التربية وما إلى ذلك، فإن ذلك يكون على حساب مشكاة النبوة ونور الوحي والهدى الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهكذا في كل شأن من الشئون، فالمسألة ينبغي التفطن لمأخذها وأصلها وهو أنَّ القلب وعاء فمهما استطعت أن تملأه من مشكاة الوحي فهذا هو صلاح القلب، وإن زاحمت ذلك بأمر مباح فهو بحسب هذا الأمر وبحسب غلبته كثرة وقلة وما إلى ذلك، وإذا كان هذا الاشتغال بأمرٍ محرم أو بأمرٍ يئول إلى محرم فهو بحسب حاله.

(ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير).

نعم، اليوم الذين يعرفون سِيَر اللاعبين والمغنيين والممثلين.. وما إلى ذلك، هل يعرفون سير الأنبياء وسير الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-؟! أبداً، ولا يعرفون حتى أسماء أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهكذا المشتغلون بسماع الغناء أو الذين جُل همهم حفظ النظريات الغربية لو سألته هل يحفظ حديثا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ربما وجدته لا يحفظ، وهكذا...

(ولهذا جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: {ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنة مثلها} رواه الإمام أحمد[1].

وهذا أمر يجده من نفسه من نظر في حاله من العلماء والعباد والأمراء والعامة وغيرهم؛ ولهذا عظّمت الشريعة النكير على من أحدث البدع وكرهتها).

من الفقهاء من ليس له عناية إلا بالتخريج على قول فلان، والتفريع على هذا القول، وتوجيه هذا القول، والاستنباط منه، وتطبيق أنواع الدِلالات عليه.. وما إلى ذلك، وهذا يجعل هذه النصوص عن هذا الإمام بمنزلة نصوص الوحي، فتقلُّ عنايته بالأدلة من الكتاب والسنة فضلاً عن أقوال المتقدمين من السلف -رضي الله تعالى عنهم- من الصحابة والتابعين وهكذا، فإن كان شغله في أقوال المتأخرين وكتبهم فإنَّ نصوص الأئمة المتقدمين كالأئمة الأربعة مثلاً المنقول عنهم وعن كبار أصحابهم لا تجد له إلماماً بها، وهكذا بحسب ما اشتغل به، فحتى في العلوم العادية الطبيعية والدنيوية..، فمثلا الطب، من كانت عنايته فقط بالطب المنقول من مدارسه الحديثة في الغرب وسخر جُل دراسته في هذا وقراءته وما إلى ذلك، ربما تأتي إليه وهو متخصص كبير في الأمراض الجلدية مثلاً، -وربما يظهر عليه سيما التدين- وتقول: أنتم تتعبون أنفسكم في علاجات طويلة جداً وربما لا يحصل منها نفع أصلاً بينما عندنا: ((باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليُشفى به سقيمنا بإذن ربنا))[2] وينتهي الأمر في خلال يوم واحد، ونحن مستعدون لأن نعمل لكم عشرات العمليات بهذه الطريقة يومياً، وترون نتائجها في اليوم الثاني، لكان أول مرة يسمع هذا الكلام، وأول مرة يسمع بهذا الحديث مع أنَّه في صحيح مسلم، فهل العناية أن يجعل عنايته في شيء يوجَّه كل ما عنده من قدرة ومن طاقة في جانب من الجوانب يستغرق عليه هذه الأشياء؟!، وحتى في نفس العلوم، من كانت همته في أصول الفقه مثلاً ظهر أثر ذلك في الأشياء الأخرى، تقصير في العقيدة، في الحديث، في التفسير، في الفقه.. وما إلى ذلك، وهذا يرشد الإنسان إلى أن يتبصر في نفسه ما هو أصلح له وأنفع، فإذا كان هذا في الأعمال الفاضلة والأعمال الطيبة والخيّرة فما بالك إذا زاحمتْها أعمالٌ أخرى مباحة، فما بالك إذا زاحمتها أعمال محرمة، فما الذي يبقى للعبد؟! وكيف يكون صلاحه؟! وهكذا في العبادات التي يتعبد الإنسان ربه بها، إذا كان شغله في أمور مبتدعة أو كان شغله في أمور مباحة من اللهو ونحو هذا، فإنَّ هذا يكون على حساب أمور أخرى وهكذا.

(لأن البدع لو خرج الرجل منها كَفافاً لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً، بل لا بد أن يوجب له فساداً، منه نقص منفعة الشريعة في حقه إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض منه.

---

[1] - رواه أحمد برقم: (١٦٩٧٠) من حديث غضيف بن الحارث، ولفظه: (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة...) وقال محققوه: إسناده ضعيف، ورواه الدارمي: (٥٨/١) برقم: (٩٨) ولفظه: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة". باب اتباع السنة. قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

[2] - رواه البخاري برقم: (٥٧٤٥) كتاب الطب – باب رقية النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومسلم: (٥٨٤٨) كتاب السلام – باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمة والنظرة. واللفظ له.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- في العيدين الجاهليين: ((إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيراً منهما))[1]، فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الأعمال المبتدعة مانعاً عن الاغتذاء -أو من كمال الاغتذاء- بتلك الأعمال الصالحة النافعة الشرعية، فيفسد عليه حاله من حيث لا يشعر، كما يفسد جسد المغتذي بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر، وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع.

إذا تبين هذا فلا يخفى ما جعل الله في القلوب من التشوق إلى العيد والسرور به والاهتمام بأمره، اتفاقاً واجتماعات وراحة، ولذة وسروراً، وكل ذلك يوجب تعظيمه لتعلق الأغراض به؛ فلهذا جاءت الشريعة في العيد بإعلان ذكر الله تعالى فيه، حتى جُعل فيه من التكبير في صلاته وخطبته وغير ذلك ما ليس في سائر الصلوات، وأقامت فيه من تعظيم الله وتنزيل الرحمة فيه -خصوصاً العيد الأكبر- ما فيه صلاح الخلق، كما دل عليه قوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [سورة الحج: (٢٧-٢٨)]، فصار ما وُسِّع على النفوس فيه من العادات الطبيعية عوناً على انتفاعها بما خص به من العبادات الشرعية، فإذا أعطيت النفوس في غير ذلك اليوم حظها أو بعضه الذي يكون في عيد الله فترت عن الرغبة في عيد الله، وزال ما كان له عندها من المحبة والتعظيم، فنقص بسبب ذلك تأثير العمل الصالح فيه، فخسرت النفوس خسراناً مبيناً، وأقل الدرجات: أنك لو فرضت رجلين أحدهما قد اجتمع اهتمامه بأمر العيد على المشروع، والآخر مهتم بهذا وبهذا، فإنك بالضرورة تجد المتجرد للمشروع أعظم اهتماماً به من المشَرِّك بينه وبين غيره ومن لم يدرك هذا فلغفلته أو إعراضه، وهذا أمر يعلمه من يعرف بعض أسرار الشرائع.

وأما الإحساس بفتور الرغبة فيجده كل أحد، فإنا نجد الرجل إذا كسا أولاده أو وسع عليهم في بعض الأعياد المسخوطة فلا بد أن تنقص حرمة العيد المرضي من قلوبهم، حتى لو قيل: بل ما في القلوب ما يسع هذين، قيل: لو تجردت لأحدهما لكان أكمل.

الوجه الخامس: أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل، خصوصاً إذا كانوا مقهورين).

هذا هو (الوجه الخامس: أنَّ مشابهتهم في بعض أعيادهم يُوجب سرور قلوبهم؛ بما هم عليه من الباطل، خصوصاً إذا كانوا مقهورين تحت ذل الجزية والصغار)، فهم يرون المسلمين -وهم الأكثرية في البلاد التي يكون فيها أهل الذمة- يُشاركونهم، ومعلوم أنَّ المسلمين حينما يكون أهل الذمة تحت سلطانهم، فالأصل أنَّ القوة للمسلمين، فإذا شاركوهم قويت قلوبهم وصار لهم بذلك من الأنس والسرور وزوال الوحشة ما لا يخفى، وليس ذلك هو مقصود الشارع، وإنما ألزمهم الصغار والذل، فإذا شاركناهم في شعائر دينهم أو في شعاره أو في شيء من ذلك فإنَّ هذا يُخالف مقصود الشارع، فيكون دينهم بالنسبة إليهم مظهراً من مظاهر الحق، فهاهم أهل الإسلام -وهم أهل القوة والتمكن وهم الأكثرية- يشاركونهم في هذا، فيرفعون عن قلوبهم تلك الوحشة

---

[1] - رواه أحمد (٢١٢/٢٠) برقم: (١٢٨٢٧) مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه-. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذل والصغار الذي ينبغي أن يُلازمهم، {حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [سورة التوبة (٢٩)]: أذلاء، فليس من إذلالهم أن نشاركهم في أفراحهم وأعيادهم.

(تحت ذل الجزية والصغار، فرأوا المسلمين قد صاروا فرعاً لهم في خصائص دينهم، فإن ذلك يوجب قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء، وهذا أيضاً أمر محسوس لا يستريب فيه عاقل، فكيف يجتمع ما يقتضي إكرامهم بلا موجب مع شرع الصغار في حقهم؟

الوجه السادس: أن مما يفعلونه في عيدهم: ما هو كفر، وما هو حرام، وما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة، ثم التمييز بين هذا وهذا يظهر غالباً، وقد يخفى على كثير من العامة، فالمشابهة فيما لم يظهر تحريمه للعالم يوقع العامي في أن يشابههم فيما هو حرام، وهذا هو الواقع).

نحن عرفنا أنهم في أعيادهم –مثلاً- ربما زعموا أنَّ مريم -رحمها الله- تمرُّ بهم، فربما نشروا ثيابهم من أجل أن تحل بها البركة، وكذلك حينما يزعمون أنَّ المسيح -عليه الصلاة والسلام- يمرُّ بهم فتحل بهم البركات، وكذلك ما يحصل لهم من الخداع ببعض المخاريق التي يفعلونها مما يُلبّسون به على العامّة فيزعمون أنَّ بركات المسيح تحلّ بهم عبر أضواء أو أنوار، يفتعلونها، وكذلك أيضاً ما يحصل من تلك المنكرات التي هي من شعائر الشرك كالصلبان في لُبسها وإظهارها ووضعها على أبواب البيوت وما إلى ذلك، فإن هذا كله من الكفر بالله -تبارك وتعالى-، وهكذا الرقى الشركية سواء عن طريق البخور، وعن طريق الرسومات والطِّلسمات التي يرسمون بها صور العقارب والحيات على طريقة الصابئة الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويتقربون لها، ويوقعون السحر بناء على نزول القمر في منازل معينة فيكون ذلك موافقاً لهذا العمل، الذي هو السحر أو هذا الطِّلسم أو نحو ذلك، فيقع السحر بزعمهم بناء على هذه الموافقة، وكلُّ هذا من الشرك، ويفعلونه في أعيادهم، فيوافقهم كثير من العامة، وكما سبق من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- في مواضع سابقة من أنَّ بعض المنتسبين للعلم ربما أخذ من هذا البخور ليبخر به بيته، فإنه بزعمهم يطرد الشياطين، وربما حلَّت البركة بهذا البيت، فإذا كان هذا يفعله بعض المنتسبين إلى العلم والدين دون أن يعرف أصله فما بالك إذن بالعامة؟!

وهكذا شأن الأمور إذا غلبت -وقد يستغرب هذا الكلام- لكن إذا تذكرنا أنَّ كثيراً من الأشياء ربما يفعلها بعض المنتسبين للعلم، وهي مأخوذة عنهم، ومن خصائصهم الدينية دون أن يتفطنوا لأصلها عرفنا ما يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في أمور قد تكون بعيدة عنا في هذا العصر، لكن هناك أمور أخرى وقع فيها كثير من المسلمين دون التنبه لأصلها، فاليوم ألا ترى من خريجي الجامعات الشرعية بل ومن أساتذة الجامعات الشرعية من تظهر عليه أشياء من خصائص النصارى الدينية؟! أقلّ ذلك كأن يلبس الدبلة، وهو أستاذ في كلية شرعية!! فهذا كيف انطلى عليه مثل هذا؟! وهكذا بعض الأمور التي يفعلونها أو يفعلها من حولهم دون نكير هي مأخوذة من أولئك الكفار.

(والفرق بين هذا الوجه ووجه الذريعة أنا هناك قلنا: الموافقة في القليل تدعو إلى الموافقة في الكثير، وهنا جنس الموافقة يلبس على العامة دينهم، حتى لا يميزوا بين المعروف والمنكر، فذاك بيان للاقتضاء من جهة تقاضي الطباع بإرادتها، وهذا من جهة جهل القلوب باعتقاداتها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجه السابع: ما قررته في وجه أصل المشابهة، وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم -بل سائر المخلوقات- على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم).

يعني أنَّ المشابهة في الظاهر توجب انجذاب الباطن وميله إلى هؤلاء الذين شابههم، هذا هو المراد، فإذا شاركهم في أعيادهم وشعائر دينهم، فإنَّ هذا يعني ميله إليهم، وهذا شيء مشاهد فالذين يشاركون الكفار الآن بأعياد الكريسماس ويحتفلون معهم، ويحضرون معهم هذه المجامع، لا شك أن قلوبهم تصبو إلى هؤلاء الكفار وتميل إليهم.

(حتى يئول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط)

يعني افتراق الذوات وإلا فالنتيجة واحدة لا تميز بين هذا وهذا.

(ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط) .

الأجناس منها ما هو بعيد ويسمى "المعلوم"، ويأتي جنس بعده، وهو "الموجود"، ثم هذا الموجود ينقسم إلى أجناس هي حيوان، وجماد، ونبات، ثم تحت هذه أجناس، فالحيوان تحته أجناس، فالإنسان جنس، والخيل جنس... وهكذا، فالإنسان يشترك مع الإنسان في هذا الجنس الخاص سواء كان كافراً أو مسلماً، فإذا أردنا أن نقسم الإنسان باعتبار الجنس إلى ذكر وأنثى، وباعتبار الدين إلى مسلم وكافر، وباعتبار الصحة والمرض إلى صحيح ومريض.. وهكذا، فالإنسان يشترك مع غيره من المسلمين والكفار في الجنس القريب وهو الإنسانية، وهذا يوجب ميلاً نحوه، فلا يميل إلى الوحوش والحيوانات كميله إلى الإنسان، الذي يأنس به؛ لأنه من جنسه القريب، ثم يميل إلى الجنس الذي أبعد منه وهو الحيوان، فالحيوان أقرب إليه من الجماد وهكذا، فكيف إذا شابهه في خصائصه التي هي أدق، وتتفرع عن هذا الجنس القريب؟! فهذا الجنس القريب الذي هو الإنسان اشترك معه في الإنسانية، وهذا الجنس القريب يتفرع إلى مسلم وكافر، فإذا شابهه في خصائصه التي هي أخص من كونه إنسانا فإن هذا يوجب له مزيداً من الارتباط والميل نحوه، وهذا شيء لا يخفى، وكلما قربت الخصائص والصفات ووجوه المشاركة كان ذلك أدعى إلى قرب القلوب وارتباطها وتعلقها، ولذلك تجد الإنسان الذي اشترك معك في الإنسانية واشترك معك في الدين واشترك معك أيضاً في السمت والهيئة، وربما حتى في الاسم وهيئة المركب وصورته ونوعه تشعر أنه أقرب من غيره إليك، فلو أن امرأة دخلت في مكانٍ كلُّ النساء فيه متبرجات إلا واحدة تلبس كلباسها، فإن هذا يوجب ميلاً نحوها وهي لا تعرفها، وأنت إذا دخلت في مكان ووجدت كل الموجودين يحلقون لحاهم ولا يلبسون شيئاً فوق رءوسهم، ويلبسون لباس الإفرنج في بلد إفرنجي –مثلاً- ووُجد واحد في هذا المجلس يلبس مثل لباسك وأطلق لحيته وظهرت عليه سيما السنة فإنك ستجد انجذاباً نحوه شئت أم أبيت، وأنت لا تعرفه، وإذا وُجد إنسانٌ يوافقك في الاسم الأول والأخير مثلاً تجد نوعاً من الانجذاب نحوه شئت أم أبيت، وإذا وُجد إنسان يشابهك في الصورة الظاهرة والشبه الظاهري تجد انجذاباً نحوه أكثر من غيره وهكذا.

الجنس البعيد "موجود"، والمتوسط "حيوان" والقريب "إنسان" –مثلاً- هذا المراد، شيخ الإسلام ذكر -وسيأتي- أشياء موجودة وواقعية وحقيقية، فالإنسان الذي تراه في المسجد عندك صباحَ مساءَ، ربما لا تسلم عليه؛ لأنك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تراه صباحَ مساءَ، لكن لو ذهبت فوجدته في حي آخر لربما تسلم عليه وتحتفي به، لماذا؟ وفي المسجد لا تلتفت إليه، ما الذي جدَّ في الموضوع؟ ولو وجدته في بلدة أخرى قريبة كان الاهتمام أكثر، ولو وجدته في بلد غربة، غربة وجه، وغربة يد، وغربة لسان، وغربة دين، وغربة كل شيء، تجد -كأنه نزل عليك من السماء- الفرح به والسرور والملازمة له والأنس برؤيته.. وما إلى ذلك، -مع أنك تراه صباح مساء وربما لا تسلم عليه- فهذا شيء مشاهد، فكلما قويت وكثرت وجوه المشابهة كان ذلك أدعى لاتصال القلوب وميلها، وهذا ليس بمقصود الشارع، وإنما مقصوده أن توجد المباينة والكراهية للمشركين ولمَا هم عليه، وأن نبغضهم ونكرههم، كما يجب تنمية هذه الكراهية في نفوس الناس وتربيتهم عليها، خلافاً لما يُنادى به الآن، مما ليس مقصود الشارع، لأن مقصوده: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [سورة آل عمران (١١٩)] يحرضهم إذ لا يقول هذا الكلامَ أحدٌ إلا ويريد أن يحرك قلوبهم نحوه: أبغضوهم وعادوهم..

(فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلاً، فلا بد من نوعٍ ما من المفاعلة).

يعني على الأقل النبات أقرب إليه من الصخرة، فينجذب نحو النبات أكثر من انجذابه نحو الحجارة؛ لأن جنس النبات فيه نوع اشتراك هو الحياة والنماء.

(ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه).

صحيح، فلذلك الذين يعيشون مع الإبل النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنَّ الرعونة والجفاء في رعاة الإبل[1]، والذين يعيشون مع الغنم: ((السكينة في أهل الغنم))[2]، والذي يربي الكلاب تجد فيه من أخلاق الكلاب، والذي يربي الخنازير تجد فيه من أخلاق الخنازير، والذي يشتغل بالخيل والفروسية تجد فيه من العزة والقوة والثقة بالنفس.. وما إلى ذلك ما لا تجده عند الذين يربون الخنازير، والذي يربي الدجاج ويعمل بالفلاحة تجد فيه من الذل والهوان ما لا تجده عند أهل الفروسية والحرب والجهاد، ولهذا قال بعض السلف لما رأى مِحراثاً في بيت رجل من إخوانه: "ما دخل هذا بيتاً إلا دخله الذل"؛ ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر)) كناية عن الحرث والزرع، ((ورضيتم بالزرع وتركتم

---

[1] - كما روى البخاري: برقم: (٣٤٩٨) عن أبي مسعود يبلغ به النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من هاهنا جاءت الفتن نحو المشرق، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر في ربيعة ومضر)). كتاب الفتن – باب قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [سورة الحجرات: (١٣)].

[2] - رواه البخاري: برقم: (٣٣٠١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم)). كتاب بدء الخلق – باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجهاد في سبيل الله سلَّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم))[1]، فالأخلاق تؤثر فيها المِهن والصنائع، وتؤثر فيها الخُلطة؛ لأن الطبع سرَّاق، والناس كأسراب القَطا جُبلوا على تشبه بعضهم ببعض، فإذا تفطن الإنسان لنوع صنعته وتفطن لخلطته ومن يُصاحب وما إلى ذلك سلم بإذن الله -عز وجل- من كثير من الرزايا التي يقع فيها الناس، كالأخلاق المرذولة والنفوس الذليلة، فالذي يخالط أهل الذل يصيبه -ولابد- من طبائعهم، وهكذا.

(ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمالون والبغالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة، فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي).

بل حتى الحيوانات -كما هو مشاهد- إذا وضعت شيئاً منها مع غير جنسه أكسبه من صفات ذلك الجنس، فأهل الصقور يعرفون الصقر الذي عاش مع الدجاج –مثلاً- من بين سائر الصقور، صقر لكنه رُبي مع دجاج، فيظهر هذا على هذا الصقر بمجرد رؤيتهم له، وهكذا حينما يُربى الشبل ابن الأسد الصغير مع الخراف والمعز يظهر فيه من صفاتها ما لا يكون للآخر الذي تربَّى في الغابة مع جنسه، وهكذا، بل حتى الحيوانات الوحشية التي يمكن أن تكون إنسية مثل الظباء ونحو ذلك إذا وُضعت مع الغنم صارت مثلها تسرح وترجع بنفسها ولا تنفر من الناس، بل هي تأتيك، وإذا وقفت جاءت إليك، ووقفت عندك، وهذا شيء مشاهد.

(وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً وإن بعُد المكان والزمان، فهذا أيضاً أمر محسوس، فمشابهتهم في أعيادهم -ولو بالقليل- هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط عُلق الحكم به وأدير التحريم عليه).

هذه قاعدة مهمة، وكل الأشياء التي مضت مهمة في قضية الخلطة وأثرها، والمشابهة وأثرها، والمعاشرة.. فهذه القاعدة أنَّ **(ما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط عُلِّق الحكم به وأُدير التحريم عليه)**؛ ولذلك تجد الآن تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، تحريم سفر المرأة من غير محرم، فمثل هذه لا يمكن أن تنضبط إلا بالحكم العام، بالمظنة؛ لأن الخلوة مظنة الرِيبة، ووقوع ما لا يليق، وسفر المرأة من غير محرم مظنة لضياعها، قد يقول قائل: هذه المرأة التي خلوتُ بها امرأة لا يُرغب بمثلها، ولا يلتفت إليها أحد، نقول: الحكم عُلِّق بالمظنة، ويُقال: الخلوة مظنة المفسدة، والاستثناءات: إلا فلانة، إلا فلانة، الشريعة لا تأتي بمثل هذا، فيُعلَّق الحكم بالمظنة، فإذاً الحكم عامٌ، وكذلك سفر المرأة من غير محرم، بعض النساء أقوى بكثير من الرجال، فرب امرأة تدبر وتدير، رجلة مترَجِّلة وقوية وسليطة، وأقوى من كثير من الرجال وأكثر تسلطاً واستخراجاً لحقها،

---

[1] - رواه أبو داود: برقم: (٣٤٦٤) كتاب الإجارة – باب في النهي عن العينة، وصححه الألباني.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومع ذلك فمثل هذه لا تسافر إلا مع ذي محرم، وقد تكون أقوى من المحرم بكثير، وكم شاهدنا محرماً قد طأطأ رأسه لا يُبين، والمرأة هي التي تتكلم، وهي التي تذهب وتجيء في المطار، وتُنهي كل ما تحتاج إليه، والمحرم تبع لها، ومع ذلك نقول: لا بد من المحرم، فهذه الحالات القليلة الشارع لم يأتِ باستثنائها، لأن الشريعة لا تأتي بمثل هذا، وإنما تربط الحكم بمظنته، فتجري الأحكام على سبيل العموم، وإلا فلو تصورنا أن الشريعة جاءت بهذه الطريقة وقالت: إلا إذا كانت المرأة قوية. فأحضِر لي امرأة تقول: أنا ضعيفة، ما الضابط؟ وما وجه القوة؟ هل هي القوة البدنية أو قوة الرأي أو قوة الشخصية أو البداء؟ وإذا جاء الجد بكت! ما القوة؟ وما ضابطها؟ ولذلك كثير من الناس يقول: هذه المرأة التي أنا أصافحها امرأة لا يُرغب بمثلها امرأة كبيرة في السن عمرها ثمانين سنة، نقول: ولو كان، فلا يُستثنى هذا.

(فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله ولو تفطن له، وكل ما كان سبباً إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه كما دلت عليه الأصول المقررة.

الوجه الثامن: أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة).

هذا لو سمعه بعض المعاصرين لقال: هذا هو المطلوب، التعايش والمحبة ووجود الارتباط بين الناس، بينما الشريعة جاءت بخلاف هذا.

(حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين؛ وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة).

هذا وكل شيء بحسبه، فإذا رجعت إلى مسقط رأس الإنسان إلى قريته والبلد التي منها آباؤه وأجداده، لو أنه بقي فيها قد لا يعرف عامة الناس ولا يهتم بهم، وإذا ساكَنَهم في بلدة أخرى كان بينه وبينهم من الارتباط ما لا يكون بينه وبينهم لو كان في بلدته الأصلية، وأيضاً تتسع الدائرة إذا انتقل إلى محل آخر، فأهل قريته يميل إليهم ويصفو قلبه إليهم إذا ساكَنَهم في مكان آخر، فإذا انتقل إلى بلد هي بلد غربة بالنسبة إليه فإنه يرتبط بدائرة أوسع من هذا إلى منتسب إلى بلده الأكبر مثلاً، ثم تتسع الدائرة وهكذا، فتجد الإنسان لربما يبحث عن أحد يتكلم العربية فقط، ويفرح به غاية الفرح إذا وجده في هذا المكان -كما هو مشاهد-، ولربما رأيته يبحث عن أحد يوافقه في الدين إذ لا يرى إلا كفاراً، فإذا رأى أحداً من المسلمين طار به فرحاً ولربما لو رآه في بلده لم يعبأ به، بل لربما لم يسلم عليه.

(بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب أو الشعر أو المركوب.. ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة إما على الملك وإما على الدين، وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم بينهم مناسبة تورث مشابهة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورعاية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ} [سورة المائدة (٥١-٥٣)]، وقال تعالى فيما يذم بها أهل الكتاب: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [سورة المائدة (٧٨-٨١)]، فبين -سبحانه وتعالى- أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال سبحانه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} [سورة المجادلة (٢٢)]، فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يوادُّ كافراً، فمن وادَّ الكفار فليس بمؤمن، والمشابهة الظاهرة مظنة الموادَّة فتكون محرمة كما تقدم تقرير مثل ذلك، واعلم أن وجوه الفساد في مشابهتهم كثيرة، فلنقتصر على ما نبهنا عليه.

فصل: مشابهتهم فيما ليس من شرعنا قسمان:

أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم، فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم: إما أن يفعل لمجرد موافقتهم -وهو قليل-.

هناك أمور هي من خصائص دينهم لا يجوز مشابهتهم بها، ولا يُلتفت فيها إلى القصد، يقول: أنا لا أقصد، ما يلتفت إلى قصده، وكذلك ما كان من خصائصهم العادية فإنه لا يجوز مشابهتهم فيه ولا يُنظر إلى قصد الفاعل، وهناك أمور لا يُدرى هل هي من دينهم أو من عاداتهم، فينبغي أن تُجتنب في حال الاشتباه، وهناك أمور مشتركة بين الناس من فعلها بقصد التشبه بهم فله حكم المشابهة.

وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل.

أي من يفعله ولا حظّ له فيه، ولا رغبة، ولا أي مصلحة، وإنما يفعله فقط لمشابهتهم، يقول: هذا قليل من يفعله، مثل لبس الصليب والزُّنار ونحو ذلك، أو يكون هذا لرغبة فيه -في هذا العمل المعين-، له مصلحة فيه، مثلاً يريد أن يتميز عن الآخرين، يريد أن يأتي بجديد، له شهوة في هذا العمل، فيفعله، فهذا لا يجوز أيضاً ومصلحته هذه لا تبرر هذا الفعل، فسواء قصد المشابهة أو لم يقصد، بعضهم يقول: أنا لم أقصد المشابهة لكن هذا الذوق يعجبني، هذا الصنيع أميل إليه، فيقال له: لا يجوز.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا أو الآخرة، وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفراً بحسب الأدلة الشرعية، وإما عمل لم يعلم الفاعل أنه من عملهم فهو نوعان:

أحدهما: ما كان في الأصل مأخوذاً عنهم، إما على الوجه الذي يفعلونه، وإما مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك، فهذا غالب ما يبتلى به العامة، في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقير والميلاد ونحوهما).

ما كان أصله مأخوذا منهم، وقد يحصل له بعض التبديل والتغيير لكن الأصل أنه منهم، فمثلاً: عيد من أعيادهم كعيد رأس السنة أو عيد الشجرة أو عيد المعلم أو نحو ذلك من الأعياد فهذه قد يغير فيها بعض الناس بتقديم أو تأخير، أو يفعلون أشياء غير التي يفعلها أولئك، فمثلاً: عيد المعلم في العادة عندهم أنهم يأتون بالزهور للمعلم ويقيمون له احتفالا، فيقول قائل: نحن لا نريد هذا، نحن نريد أن نتكلم في الإذاعة عن حق المعلم، أقول: لا، لا يُخص هذا اليوم بشيء، فإن قال: هو يوافق عندهم تاريخ كذا ونحن نريد أن نفعله بعدهم بأسبوع أو الشهر الآخر، فنقول: لا يجوز؛ لأنه إحياء لهذا العيد، وسواء كان ذلك في وقته أو قبله أو بعده فإن ذلك كله من إحيائه ومشابهتهم فيه، فهذه الحيل التي يفعلها بعض الناس لا تغني عنهم شيئاً، وإنما الحل هو الإلغاء تماماً، فلا تفعل شيئاً.

(فإنهم قد نشئوا على اعتياد ذلك وتلقاه الأبناء عن الآباء، وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك، فهذا يُعرّف صاحبه حكمه، فإن لم ينته وإلا صار من القسم الأول).

هذا في الأمور المأخوذة عنهم، فالحكم أنه في الواقع مشابه لهم، فإن بُيِّن له أن هذا من أعمالهم ومن أعيادهم أو من خصائصهم فلم يترك صار من القسم الأول وهو من شابههم وهو يعلم أن ذلك من دينهم أو من خصائصهم العاديَّة، وليس من القسم الثاني الذي وقع في أمور لا يدري أنها مأخوذة منهم -كما هو حال كثير من الناس-.

(النوع الثاني: ما ليس في الأصل مأخوذاً عنهم لكنهم يفعلونه أيضاً، فهذا ليس فيه محذور المشابهة).

يعني الأشياء المشتركة بين الناس، هم يفعلونها وغيرهم يفعلها، فما حكمها؟ هذه ليست من قضايا المشابهة لكن إذا أمكن أن يتميز المسلمون بأشياء فهذا أفضل وأكمل، وإلا فلا حرج عليهم بفعل هذا.

(ولكن قد يفوت فيه منفعة المخالفة، فتتوقف كراهة ذلك وتحريمه على دليل شرعي وراء كونه من مشابهتهم).

قضية المشابهة انتفت، فيبقى النظر في الفعل المعين هل هو حلال أو حرام؟ يعني في حكمه من حيث هو بغض النظر عن موضوع المشابهة التي قد انتفت.

(إذ ليس كوننا تشبهنا بهم بأولى من كونهم تشبهوا بنا).

يعني لا يُقال إن هذا من المشابهة، نحن نفعله وهم يفعلونه فكيف نقول -طالما أنهم يفعلونه- هذه مشابهة لهم؟! لماذا لا يكون العكس؟! لماذا لا يكون هم الذين تشبهوا بنا؟! فليس أحد الفريقين بأحق به من الفريق الآخر، هذا هو المراد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(فأما استحباب تركه لمصلحة المخالفة إذا لم يكن في تركه ضرر فظاهر لما تقدم من المخالفة).

هذه نقطة مهمة لا يكاد الناس يتفطنون لها ولو خرجوا من الذي قبلها فهذا خير كثير، فكيف بالأمور المشتركة التي لا تختص بهم ويقصد الإنسان ألا يوافقهم فيها، مثال: الأكل على الطاولة هذا الآن صار مشتركاً وشائعاً بين الناس، هم يفعلونه والمسلمون يفعلونه، فلو أنه تركه ليتميز عنهم بالأكل على الأرض؛ لأنهم لا يأكلون على الأرض -هذا الفرق- فهم لا يعرفون الجلوس على الأرض أصلاً، فإذا جلسوا ظهر عدم اعتيادهم، -كما هو مشاهد- ترى أحدهم يقوم، ويقعد، ويتحرك، ويغير جلسته، ويميل، ولا يعرف أن يأكل، ويبدد ذلك بابتسامات صفراء للحرج الذي يلحقه من هذا الجلوس، فإذا جلس المسلم على الأرض فهذا يكون قد تميز عنهم فهذا أكمل من هذه الحيثية.

الجلوس على الكنبات ليس هذا من خصائصهم العادية بل هو مشترك بينهم وبين غيرهم فلا حرج، لكن لو تميز عنهم فوضع مجلسه على الأرض فهذا أكمل؛ لأنهم لا يفعلونه، قد يُقال هذا أيضاً في أشياء أخرى، الآن لُبس هذا الثوب هم لا يلبسونه أصلاً، فإذا لبسه الإنسان فهذا كمال، طيب لو أنه لبس بِدلة واسعة فهل هذا يجوز؟ نقول: نعم، غير التي يختصون بها لا إشكال، لكن لو أنه لبس شيئاً لا يمت لهم بصلة ولا يلبسونه فهذا أكمل.

(وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه، وقد توجب عليهم مخالفتنا كما في الزي ونحوه، وقد يقتصر على الاستحباب كما في صبغ اللحية والصلاة في النعلين والسجود).

لأنهم لا يفعلون هذا، لا يصبغون ولا يصلون في النعال، وحتى في الأشياء العادية، وكما تلاحظون عندنا بعض العامة كبار السن، الساعة لا يضعها في اليد، وإنما يضعها في جيبه في سلسلة، لماذا؟ لو سألته: لماذا تفعل هذا الفعل؟ هو عنده قضية المشابهة، مع أن هذا لا يختص بهم -وضع الساعة في اليد-، هو مشترك بين الناس لكنه أراد أن يفعل شيئاً لا يفعلونه هم، فيتميز عنهم في كل شيء، وهل هذا الكلام له وجه؟ الجواب: نعم له وجه، لكن هل يُطالب الناس به؟ الجواب: لا، وهل يُقال في من وضع ساعته في يده أنه متشبه بهم؟ الجواب: لا، هذا أمر جائز لا إشكال فيه، لكن إن فعل شيئاً تتحقق به مصلحته ويحصل غرضه ولا يفعلونه هم كان هذا أكمل؛ لأنه تميز عنهم من كل وجه.

(وقد تبلغ الكراهة كما في تأخير المغرب والفطور بخلاف مشابهتهم فيما كان مأخوذاً عنهم فإن الأصل فيه التحريم كما قدمناه).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com